



*Natural place as a poetic signifier According to Ibn Zamrak al-Andalusi (d. 797 AH)*

Israa Jamal Khalil Al-Hamdani 

Nineveh Education Directorate /  
Mosul - Iraq

Moqdad Khalil Qasim 

Department of Language of Arabic / College of arts /  
University of Mosul/ Mosul -Iraq

**Article Information**

**Article History:**

Received April 12<sup>th</sup>, 2025

Revised April 29<sup>th</sup>, 2025

Accepted May 18<sup>th</sup>, 2025

Available Online December 1<sup>st</sup>, 2025

**Keywords:**

Context

Focus

poetics

**Correspondence:**

Israa Jamal Khalil Al-Hamdani

[israa.22arp169@student.uomosul.edu.iq](mailto:israa.22arp169@student.uomosul.edu.iq)

**Abstract**

The natural space, in its poetic functional dimension, is worthy of moving within objective visions dependent on the text's elements, whether apparent or inspired by narrative structures. The event is linked to the space in its containment and documentation as a poetic signifier, and is based on psychological integration and emotional identification with it. The vision it conveys emerges from the context of the experience; a sense that captures the aesthetics of the space and its actors with poetic images that it brings together within a comprehensive context. This sense of spatial vision gives the experience its essence, granting it the potential for influence and precise description. Signifiers secured by the formation of the natural space are identified by the research in (Praise, Women, and Longing) in accordance with reading perspectives that stem from the text and its linguistic and non-linguistic contexts, in which the natural space is a dominant poetic signifier and a governing focus of the vision and its objective dimension..

DOI: [10.33899/radab.2025.159068.2352](https://doi.org/10.33899/radab.2025.159068.2352), ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

This is an open access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).

*المكان الطبيعي دألاً شعرياً عند ابن زمرك الأندلسي (ت797هـ)*

إسراء جمال خليل\*      مقداد خليل قاسم\*\*

المستخلص.

إن المكان الطبيعي في بعده الوظيفي الشعري جدير بأن يتحرك ضمن رؤى موضوعية مرتهنة بعناصر النص التي تكون ظاهرة أو مستوحاة من البنى السردية؛ إذ يرتبط الحدث بالمكان في احتوائه وتوثيقه بوصفه دألاً شعرياً، ويرتكز على اندماج نفسي وتماهٍ شعوري معه، وتتبثق الرؤية التي يبثها من محيط التجربة؛ بإحساس يستقطب جماليات المكان، وفواعله بصورٍ شعريةٍ يلملمها في سياق جامع، وتُشعر برؤية مكانية تعطي للتجربة كنهها، وتمنحها إمكانية النفوذ، ودقة الوصف؛ بدوال يؤمنها تشكيل المكان الطبيعي حددها البحث في (المدح

\* مديرة تربية نينوى / موصل / العراق

\*\* قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة الموصل / الموصل - العراق

والمرأة والحنين) على وفق نظرات قرائية تنطلق من النص بسياقيه اللغوي، وغير اللغوي اللذين يكون فيهما المكان الطبيعي بوصفه دالاً شعرياً مهيمناً، وبؤرة حاكمة في الرؤية وبعدها الموضوعي.

**الكلمات المفتاحية:** سياق، بؤرة، شعريّة.

**المقدمة:**

أولى الشعراء العرب عناية بالغة بالمكان الطبيعي، واستعرضوا تفاصيله موظفين ما يرتبط بالمكان الطبيعي، وعلاقته بالذات ومحيطها؛ ((فالعرب اهتموا بالطبيعة اهتماماً عظيماً ووصفوها وصفاً طويلاً منوعاً ... وإنك لتجد في الشعر العربي القديم وصف البيئة الصحراوية بكل ما فيها من رمال وصخور، ووهاد وتلال، ووديان وغُدُر، وقيعان وجبال، ودروب ومفاوز، وما يعلوها من السماء والنجوم، والسحاب والغمام، والرعود والبروق، وما يخرقها من الرياح والنسمات، والأمطار والسيول، وما يتقلب عليها من فصول السنة المختلفة، ومن الطقوس المتفاوتة))<sup>(1)</sup>؛ إذ تمثل الطبيعة الرافد الرئيس للشعر، ومصدرًا من مصادر الإلهام يستقي منها الشاعر الصور سواء أكانت مقصودة بذاتها أم مادة يشكل من أبعادها الحسيّة المضامين والأفكار.

وكانت الطبيعة المكانية المحطة الإبداعية الفاعلة التي تنصهر فيها الأحاسيس، وتلتقي عندها الخواطر والانفعالات؛ فتعبر عن مكان النفس تجاه جزئيات المكان الطبيعي وكيّاته؛ وتمكنه من التعبير عن خفايا الذات التي انفعلت بما هو طبيعي تشخصه طريقة للكشف، ومجالاً للروح تتحدث معه وتحوّره؛ فيلجأ الشعراء ((للطبيعة ويتخذونها مصدر إلهام يأوون إليها متأملين ظواهر الحياة والكون، ويستمدون منها وحي الشعر؛ فالطبيعة ملهمة الفنان، ومصدر الوحي، ومنبع الإلهام، وتهوي إليها أفئدة الناس مهما اختلفت ثقافتهم وبيئتهم))<sup>(2)</sup>، وتباينت عصورهم وتلاحقت، ((ويتسم المكان الطبيعي بثقل فني في البناء الشعري شكلاً ومضموناً؛ مما جعل موضوعاته ذات رؤى متعددة، لا تقتصر على الحدود الجغرافية والاجتماعية والنفسية، وإنما يتجاوزها إلى الذات وفلسفتها، ويشكّل من المكان الطبيعي أيضاً من الأحاسيس، والمشاعر حاملاً للذكرى، كما يحوّل الوجود الواقعي إلى وجود متخيل؛ بتشخيص الأمكنة الأرضية (كالروضيات)، وكذلك وصف أماكن الطبيعة الطليّة، وبالوقوف على الديار والبكاء عليها؛ مما يؤدّي الارتباط العميق بين الأماكن السماوية كالأقواس والإبداع الشعري))<sup>(3)</sup> في رؤية موحدة تنجّه للإحاطة بأبعاد التجربة، وواقعها الثقافي والاجتماعي، ووجودها السياسي، والعقدي في صعيد إبداعي.

ويأتي المكان الطبيعي عند (الشاعر ابن زمرك الأندلسي) واقعياً ومتخيلاً، يعجّ بمواطن الجمال؛ إذ يصف الأماكن الطبيعية بقدرة إبداعية متوازنة شعورياً؛ ذلك أنها تمثل معينا يستقي منه الأفكار والمضامين على الصعيد الاجتماعي، والسياسي كما أنه من الأدوات، والعناصر التي يستعين بها في بناء نصّه الشعري، وإظهار الصفات الجمالية التي تنبثق عنه، وكانت الطبيعة ملجأه، وقد تحدث ((عن كلّ شيء أحسن به وشاهده وكانت أوصافه مستمدة من هذه المظاهر التي وقعت تحت نظره، وكان شعره مستمداً من صميم البيئة التي وُجد فيها، ومن النزوع الطبيعي للتعبير عن وجود الحي الذي كان يعيشه))<sup>(4)</sup>، وأعانتها البيئة الأندلسية في اتقانه وإحكامه وصف المكان الطبيعي بما فيها من رياض، وجبال وأشجار كانت مدعاة للتأمل، والإجادة في التصوير وميداناً للتأويل؛ فوجد نفسه محاطاً بالمناظر الأسرة بموجوداتها المكانية؛ ((إذ صورّه بمشاهد شعريّة تتخذ مرتكزاً بنائياً يمثّل وظائف دلالية، وجمالية تفصح عن رؤى ذاتية فيها تجسيداً للمشاعر بلغة شعريّة تُقدّم ترسيماتها، وإيحائها شعراً بمؤثراتٍ نفسية تعتمد المجاورة، أو التماهي بين صور حقيقيّة ومجازية يحملها (المشهد الوصفي للمكان)، وتضمّ علائق سياقية، ومدارك حسيّة، وأساليب بيانية لها انعكاسات واقعية))<sup>(5)</sup> مكنته من انتقاء الأفكار وبناء الصور، وتضمينها في تجربته منفعلاً بها، ويعبر عن رؤيته بانسجامه معها؛ فهو لا ينقل صورة الطبيعة كما هي، وإنما يضيف عليها عناصر الجمال وفواعل الخيال، ويفنن بدقة التصوير، ويتواتر في تجربته الشاعر ابن زمرك الأندلسي ذكر المكان الطبيعي بتفصيلاته، وأنماطه مكوّناً فضاءً شعرياً تحكمه رؤيته ونظراته للواقع، وانفعاله بأحداثه وسياقاتها المتعددة.

### أولاً: المكان الطبيعي والمديح

تبقى سيرورة المكان متجددة عند الشاعر، واستطاع الانفعال معه وتصويره؛ لتجسيد الأفكار بالبنى وإشارتها والرموز، والحقائق المجردة، وتقريبها فنياً من الذهن وتحقيق إحاطة إبداعية يجعله البؤرة التي تتجه إليها الرؤى وتكتمل، وكان المديح هدفاً للتشكيل المكاني الذي

(1) محمد النويهي . ثقافة الناقد الأدبي ، مكتبة الخانجي، بيروت، لبنان، ط2، 1969م: 237.  
(2) زينب عبدالكريم حمزة . وصف الطبيعة في الشعر العباسي لوحات كشاحج نموذجاً ، (بحث منشور)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد35، 2017م: 850.  
(3) عبير عبدالكريم العبيدي . المكان في شعر ابن نباتة المصري (ت768هـ): (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف: أ.د. مقداد خليل قاسم الخاتوني، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2023م : 86.  
(4) د. نوري حمودي القيسي . الطبيعة في الشعر الجاهلي: ، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بغداد، العراق، (د.ط)، (د.ت): 308.  
(5) مقداد خليل قاسم . (المشاهد الوصفية في شعر ابن زبلاق الموصلية (ت660هـ)، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، ع 75، لسنة 1440هـ/ 2018م: 79.

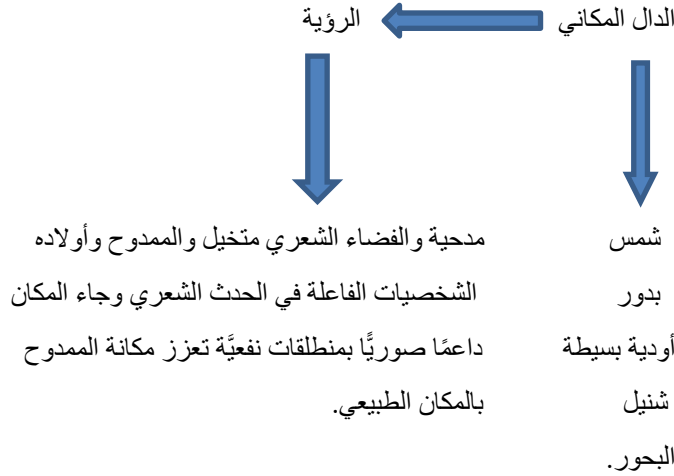
صيره الشاعر دالاً شعرياً في تحرير رؤية تنطلق من الواقع إلى الشعر، ويتحدث عن الأمكنة الطبيعية المتمثلة بالكواكب، والوديان، والأبحر في معادلة شعرية عبّر فيها عن مكونات نفسه، ومنطقه إزاء الواقع السياسي؛ إذ يقول (1):

يَا شَمْسَ هَدِي فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ  
حَفَّتُهُ مِنْ أَوْلَادِهِ غُرُّ الْبُدُورِ  
هَلْ عِنْدَ بَدْرِ التَّمِّ فِي أَفْقِ الْعُلَى  
أَنْ الْبُدُورَ الْيَوْمَ هَالَتْهَا الْفُصُورُ؟  
أَوْ عِنْدَ أَوْدِيَةِ الْبَسِيطَةِ أَنَّهَا  
إِنْ قَايَسَتْ شَنِيلَ (2) فِي فَيْضِ تَعُوزِ؟  
كَفَّ الْغَنِيِّ بِرَبِّهِ سَأَلَتْ بِهِ  
مَنْ فَيْضِ أَمَلِهِ الْمُبَارَكَةِ الْبُحُورِ

يصوّر المكان الطبيعي المتمثل بـ (الشمس، البدر، التّم، أفق العلا، أودية البسيطة، شنيل، البحور) مشكلاً صورة كلية (فالمكان وإدراكه الداخلي عنصران أساسيان في تكوين هذه الصورة النابعة من أحساس مملوء بالعواطف والمشاعر) (3)، وابتدأ بالنداء في قوله (يا شمس هدي)؛ إذ يشبه الممدوح بشمس الهداية، وتحفّ به البدر التي تغطي السماء، واقتتح الاختيار المدحي بهذا الأسلوب، ووجهه توجيهها مباشراً؛ لبيان أثر الممدوح في الواقع السياسي وفضائه الواقعي والشعري.

ثم يأتي الاستفهام (هل عند بدر التّم في أفق العلا) يستفهم إذا كانت القصور أصبحت هالة لهذه البدر، ويقارن بين المكانين الطبيعي الأرضي، الطبيعي السماوي والكواكب والنجوم؛ إذ يلحق الممدوح بالمكان الطبيعي بجماله مع مناصرين وحاشية؛ فهم يساؤون البدر والشمس التي في السماء، والنهر (شنيل) المكان الطبيعي لا تعادله الأودية، والأنهار التي على البسيطة (الأرض).

ويورد التشبيه وصفه بالبحور؛ لكثرة كرمه محققاً للمكان الطبيعي وجوداً سياسياً وماهية واقعية، ويدل توظيفه للبحور على الاتساع، والشمول في عطاء الممدوح الشخصية الرئيسة في الفضاء الشعري الذي منحته صورة الظاهرة المكانية الطبيعية اتساعاً بموازاة اتساعها، وكثرة جوده؛ ليحقق التوافق بين القوة والشجاعة والسخاء والعطاء، وهنا برزت موهبة (الشاعر ابن زمرك الأندلسي) في توظيفه للمعاني بأمكنة طبيعية تنجّه نحو بلورة صورة الممدوح:



ويأخذ المكان الطبيعي حيزاً في مخيلة الشاعر؛ إذ تتجه الأحاسيس صوبه لتستقطب الجزئيات بأدوات لرسم صورته بمقدرة شعرية، وإحساس مرهف؛ تُصيّر المكان الطبيعي فضاءً مؤثراً ذا راحة وسكينة؛ إذ يقول في موشحة (4):

(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: تحقيق: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م: 72.  
(2) شنيل: (نهرٌ عظيمٌ بالأندلس، ذكره المقرئ في نفع الطيب، قال فيه بعض المغاربة يفضله على نيل مصر))؛ تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، (د.ط.)، (د.ت): 300/29.  
(3) جميلة صدام .. المكان في شعر أبي نواس مدخل نظري؛ مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، العدد 90، 2009م: 182.  
(4) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 547.

عَلَيْكَ يَا رِيَّةَ السَّلَامِ	وَلَا عَدَا رِبْعِكَ الْمَطْرُ
قَدْ حَلَّ فِي قَصْرِكَ الْإِمَامُ	فَقَرَّبَكَ السُّوْلُ وَالْوَطْرُ
وَالدَّوْحُ فِي رَوْضِكَ الْأَنْبِقِ	لِلشُّكْرِ قَدْ حَطَّتِ الرُّؤُوسُ
وَالْعُصْنُ فِي نَهْرِهِ غَرِيقُ	وَفِي حُلَاةٍ كَمَا عَرُوسُ
وَالجَوُّ مِنْ وَجْهِهِ الشَّرِيقُ	تَحْسُدُهُ أَوْجُهُ الشُّمُوسُ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ لَا تَنَامُ	تَسْتَعْذِبُ السُّهْدَ وَالسَّهْرُ
تَنْفُثُ مِنْ تَحْتِهَا الْعَمَامُ	تَرْقِيكَ مِنْ أَعْيُنِ الزَّهْرِ
عَرُوسَةٌ أَنْتِ يَا عَقِيلَةَ	تُجَلِّي عَلَى مَظْهَرِ الْكَمَالِ
مُدَّتْ لِكَ الْكَفِّ مُسْتَقْبِلَةَ	تَمَسَّحُ أَعْطَافِكَ الشِّمَالُ
وَالْبَحْرُ مِرَاتِكِ الصَّقِيلَةَ	تَشْفُ عَنْ ذَلِكَ الْجَمَالَ

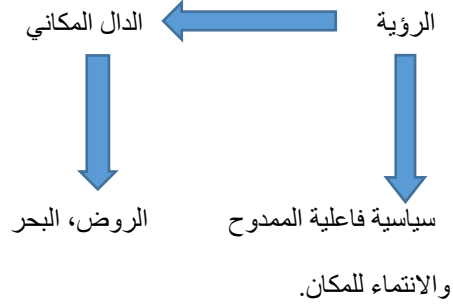
ارتبط الشاعر بالمكان الطبيعي، وتعلق به واقعياً وشعرياً؛ إذ ((إنَّ الطبيعة بالأندلس خلابة، وهي روضة من رياض الجنة وقف عندها الشعراء وقفة تأملية لما منحها الله سبحانه وتعالى من سحر وجمال)) (1)؛ رغبة في جعل الحياة متدفقة، ومستمرة فيه؛ إذ وظف الحوار بالنداء في قوله: (يا رية السلام)، منادياً (مالقة)، ونجده في تفاعل مع المكان، ويحاول بموهبته الإبداعية جعله حياً نامياً شعرياً، ويبدأ بأسلوب الحصر بتقديم شبه الجملة (عليك)؛ لحصر التحية بهذه المدينة التي تمثل الراحة والسكينة، ويعتمد أسلوب الدعاء بقوله: (ولا عدا ربك المطر)، طلباً للارتواء؛ ((لأن الأمكنة الطبيعية صارت الوسيلة للتعبير عن مشاعره الذاتية والإنسانية التي يحاول بها أن يبرز انفعالاته وعواطفه وأحاسيسه)) (2). وعبر بقوله: ( ولا عدا ربك المطر) عن رغبته في أن لا يتخطى المطر هذا الربع، ولا يبتعد عنه، مصوراً بالاستعارة الظاهرة في النص ديمومة المكان ونضارته (بـ)الشكر والغرق والنوم). ويقدم رؤيته بأحاسيس مرهفة عبر استقطاب الصور التي ترسم لوحة فنية منبثقة من سعيه في أن يبقي الحياة في المكان، ورفد النص بالبنى التي ترمز إلى المكان الطبيعي وتدل عليه، وهي متحدة، ومتوائمة مع المطلع لاستمرار حضور المكان في الوعي: (الدوح، والروض، والنهر، والجو، والشموس، والزهرة، والغمام، والبحر، والورد) بنها؛ ليشكل فضاءً شعرياً متسقاً استقرت أمكنته في ذاته وتعلقه بها شعراً.

ويتقصى البنى التي كررها مرتين: (أعين الزهر) بوصفها رمزاً للرقّة والنعمومة، وبداية الثمر باعتماد الصورة البصرية، والصورة الشمية (وأعين الزهر) التي كررها مرتين، بأنسنة (الزهر)، وجعله إنساناً يرى، ونلاحظه بـصور منع النوم عن الزهور التي تستعذب محسوسات المكان الطبيعي: (السهاد والسهر)، وتألفه وتستريح به، وهذا نابع من رؤيته الشعرية تجاه المكان الطبيعي بوصفه دالاً شعرياً؛ فالنوم في نظره ابتعاد، والصحوّة قرب، وتعلق ووجود يماثل وجود المكان، ويسند السهر للزهور التي تمثل معادلاً لروحه التي تأنف عمّا يبعدها، ويجعلها بمنأى عن المكان؛ لجمال طبيعته وهذوء المقام فيه وقد ترسخت في وعيه وقوة انتمائه له (وأعين الزهر لا تنام).

ويزدحم النص بالرموز والدلالات التي تداخلت؛ لتعبر عن رؤية فنية، وأحاسيس كامنة في الذات قامت بإرسال انفعالاته الشعرية مرتكزة على جعل المكان الطبيعي متدفقاً مستمراً، ويسلط الضوء على (المطر، والبحر، والنهر) بما فيها من اتساع، وشمول، وتدفق

(1) ساهرة عليوي حسين العامري. المكان في شعر ابن زيدون: (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف: أ.د. هناء جواد عبد السادة، جامعة بابل، كلية التربية، 2008م: 82.  
(2) ساهرة عليوي حسين العامري. المكان في شعر ابن زيدون (رسالة ماجستير غير منشورة): 88.

وحركة وعطاء انصهرت كلها في فضاء شعري يحمل ألق الأمكنة الطبيعية، وصرحت بما يقرُّ في الذات من اتفاق مع المكان الطبيعي وفكرة النص، وإصرارها، وتظهر الرؤية ابتداءً بالإشارة إلى الممدوح في مطلع الموشح (حلٌّ في قَصْرِكَ الإمام) بؤرة تتوالد منها بنى مكانية متعددة مشكلة للفضاء الشعري:



ويأتي المكان الطبيعي بوصفه دالاً شعرياً داعماً صورياً في الإفصاح عن الرؤية بمدخل مجازيةً تتباعد عن المباشرة والتقريب؛ إذ يقول (1):

صَحِيفَتُكَ الْبَيْضَاءُ لَوْحَ بَنْدَاهَا<sup>(2)</sup>      فَلَا تَ مَحْيَا الصُّبْحِ مِنْهَا غَمَامًا  
وَمَا هِيَ إِلَّا رَوْضَةٌ وَتَسِيمُهَا      يُبْرَدُ مِنْ حَرِّ اشْتِيَا فِي سَمَانِمَا  
وَأَدْوَاهَا أَسْطَارُهَا وَحُرُوفُهَا      تُرْجَعُ فِيهَا بِالنَّشَاءِ حَمَانِمَا

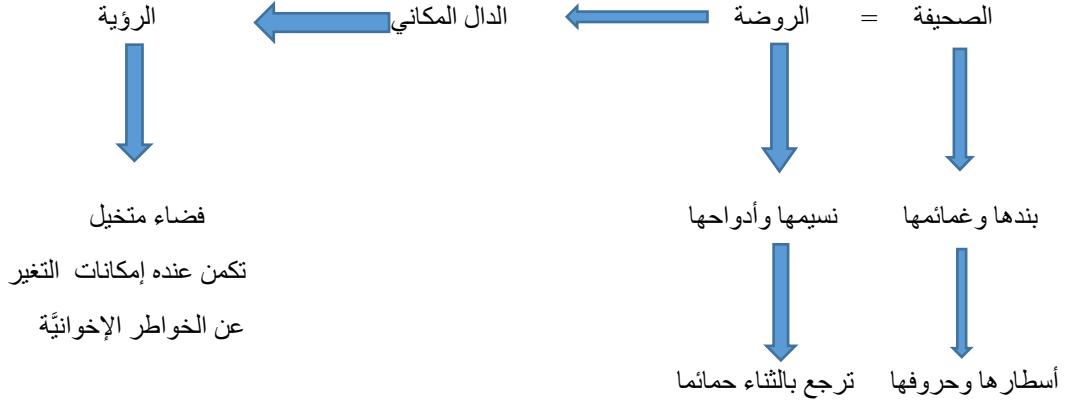
يصف الشاعر المكان الطبيعي؛ للتعبير عن شوقه لأستاذه؛ إذ تضيء صورته التي يألّفها، ويأنس بها على النص طابعاً وجدانياً؛ فيشبهه صحيفة أستاذه البيضاء المرسلة إليه بالبنود، والرايات التي ترفرف في السماء؛ فتجلو بنورها الغمام وهو مدادها، وجاء التضاد بين اللونين: الأبيض ولون الغمام الأسود صورة تعبر عن رؤيته للطبيعة المكانية، وما فيها من تباين لوني؛ لأن اللونين يمثلان الرؤية الشعرية؛ الأبيض بما فيه من راحة، وسعادة والأسود المتمثل بالغمام ودلالته على التناء، والإطراء؛ ليشكلا البعد المكاني بقيمه المحسوسة.

ويعمد إلى أسلوب القصر بقوله (وما هي إلا روضة) بقصر الموصوف على الصفة؛ فيشبهه هذه الصحيفة بالمكان الطبيعي الروضة، وما فيها من نسيم، ويدخل بين صورتين صورة بصريّة متمثلة بالروضة، وصورة شميّة متمثلة بنسيم تلك الروضة التي ترتبط بأحاسيسه ارتباطاً وثيقاً بدلالات الخضرة، والراحة، والسكينة بقدرة إبداعية يفعل بجمالياتها، وتعبر عن الرؤية الذاتية تجاهها، ثم يأتي التضاد مرة ثانية (الحر والبرد) من لوازم المكان الطبيعي بوصفه دالاً شعرياً؛ إذ يبرّد هذا النسيم بدلالته المكانية الحسية حرّ الشوق داخله بدلالته المجازية.

ويصور المكان المتمثل بالدوحة بقوله (وأدواها)، ويشبه سطور الصحيفة بدوحة مكتظة الشجر بما فيها من جمالية تعكس الشعور الذاتي، وصوّر التضاد باللونين (الأبيض والأسود) والصورة اللسبية المتضادة (الحر والبرد) إعجابه بأستاذه مرتكزاً على المكان الطبيعي الروضة مكان أنس وبهجة، ونضارة شكلت فضاءً شعرياً ترتكز بناء على المجاز في البناء والرؤية :

(1) ديوان ابن زمرك الاندلسي: 65.

(2) البند: ((العلم الكبير، وجمعه بنود وتبين له جمع أنى عذب))، لسان العرب: محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت 711هـ)، دار صادر بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ: 97/3.



وكونت الضمائر بنية متسقة لفضاء شعري متخيل أدعى لحمل الخواطر، وتجسيد المشاعر بدقة تصوير بأن تكون أسطر الصحيفة، وحرروفها غائم، وأدواحًا تغرد بالثناء كالحمام إطرًا وتحوّلًا طبيعيًا.

ويطالعنا بانفعاله بالأمكنة الطبيعية التي فيها ديمومة الحياة، واستمرارها بنسقي شعري يفغله الخيال، ويبلور صورته المجاز اتجاهًا جماليًا مشبعًا بالأمكنة، ودلالاتها الشعرية؛ إذ يقول (1):

عَظِيمٌ فَمَنْ لِي أَنْ يَقُومَ بِهَا شُكْرِي؟	أَلَا إِنْ أَدْنَى نِعْمَةٍ مِنْكَ
يَضِيقُ نِطَاقُ الوَصْفِ فِيهِ عَنِ الحَصْرِ	فَكَيْفَ بِشَيْءٍ فِيهِ أَشْتَاتُ
وَطَيْرٌ أَوْتٌ مِنْهُ الغَدَاةُ إِلَى وَكْرِ	بِهَيْمَةِ أَنْعَامٍ لَهَا فِيهِ مَسْرَحٌ
وَقَدْ كَانَ يَأْوِي قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى القَفْرِ	وَوَحْشٌ غَدَا مِنْهُ بِأَنْعَمِ رَوْضَةٍ
وَلَا خَطَرَتْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ عَلَى فِكْرِ	وَمِنْ تَمَرٍ لَمْ يَجْمَعِ الرُّوضُ مِثْلَهَا

يخرج الرؤية بعلاقة تفاعلية؛ فالممدوح أغدق العطاء، وجعل المكان يشعر بالسكينة والراحة، ويكشف عن فاعلية المكان الطبيعي القريب من نفسه، بأنه يجذب القلوب؛ ويستقطب الأحياء تملأه البهائم والطيور يعبر ضمناً عن عطائه الذي يجعلها مرتعاً للأنعام؛ فهو وكر للطيور التي تأوي إليه، وتغدو وتروح، ولم يسلط الضوء على جمالية المكان، وديمومة الحركة والحياة فيه فقط، بل أعطى صورة حيّة عكست الجانب الآخر بقوله: (بهيمة أنعام)، البهيمة التي وجدت على الأرض، واستقرت في المكان الذي يألفه، وأخفى شروط الحياة، وأعطى جزئياتها مستعياً بالصورة القرآنية في قوله تعالى: (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) (2).

ولم يكتف بجعل المكان مستمراً دائم الحياة بل منحه شمولية، واتساعاً، وامتداداً مرتكزاً على بناء مكاني متسع؛ ليرسل صورة كلية، تبعث الراحة والطمأنينة فيه بـ (مسرح)، وما فيها من معاني الحياة والبهجة بالاتساع والانفتاح، وهذا يمثل فضاءً مكانيًا تشكله رؤية الشاعر بانتداب ما لا يعقل (بهيمة أنعام، طير، وحش)، ووجود مسارح الحيوانات التي ترضى فيه تريح النفس بجمالها وسكينتها، حتى الوحوش وجدت مستقرًا في المكان؛ فوظف (بهيمة) ثم (وحش) المفترسة القوية؛ فكانت الطبيعة محرّكاً في إنضاج الرؤية، وإخراج الدلالة، والإفصاح عنها بفضاء شعري يجسد عطاء الممدوح الذي بدا مؤشراً فيه مكانياً:

(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 80.  
(2) سورة الحج، الآية: 34.

وَوَحْشٌ عَدَا مِنْهُ بِأَنْعَمِ رَوْضَةٍ      وَقَدْ كَانَ يَاوِي قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى الْفَقْرِ  
وَمِنْ نَمَرٍ لَمْ يَجْمَعْ الرُّوضُ مِثْلَهَا      وَلَا خَطَرَتْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ عَلَى فِخْرِ

بالتحول المكاني المرتبط بالرؤية عبر ثنائية (روضة) في الحال، و(فقر) في الماضي تتافر وتضاد جعلاً الصورة معبرة متاحة في التفكي.

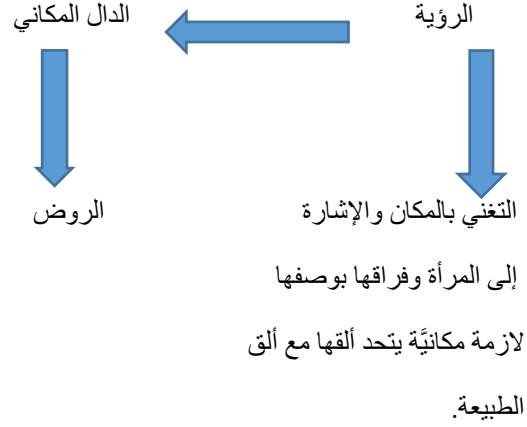
### ثانياً: المكان الطبيعي والمرأة

تنطلق الرؤية المكانية باتجاهات متعددة ترتبط بطبيعة البواعث الحاكمة في إنتاج النص الشعري، ونلاحظ هيمنة المكان، وامتداده في موضوعات متعددة عبر القراءة والتأويل وصولاً إلى نقطة تتمركز فيها الرؤية ونظراتها، وتتواصل مع محيطها مشكّلة دوال تشتغل في دائرة المرأة بحيز تتبناه التجربة، وتنتقل بين أجزائه صورة وإشارة ورمزاً؛ إذ يوائم الشاعر بين المكانين الطبيعي والإنساني معتمداً الأول دالاً شعرياً؛ فيرسم صورة للمرأة تركز على مضامين الطبيعة المكانية في تشكيل فاعله خواطر الذات، وتماهيا مع حدثه؛ إذ يقول<sup>(1)</sup>:

خُدُوا الْجَدْرَ مِنْ سُكَّانِ رَامَةٍ إِنَّهَا      ضَعِيفَاتُ كَرِّ اللَّخْطِ تَفْتَكُ بِالْأَسَدِ  
سِهَامٌ جُفُونٍ عَنْ قَيْسٍ حَوَاجِبِ      يُصَابُ بِهَا قَلْبُ الْبَرِيِّ عَلَى عَمْدِ  
وَرَوْضُ جَمَالٍ ضَاعَ عَزْفُ نَسِيمِهِ      وَمَا ضَاعَ غَيْرُ الْوَرْدِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ  
وَتَرَجِسُ لَخْطِ أَرْسَلِ الدَّمْعِ لَوْلَا      فَرَشَ بِمَاءِ الْوَرْدِ رَوْضًا مِنَ الْوَرْدِ  
وَكَمْ غُصْنٍ قَدْ عَانَقَ الْغُصْنَ مِثْلَهُ      وَكُلٌّ عَلَى كُلِّ مِنَ الشَّوْقِ يَسْتَعْدِي  
قَبِيحٌ وَدَاعٌ قَدْ جَلَا لِعْيُونِنَا      مَحَاسِنٌ مِنْ رَوْضِ الْجَمَالِ بِلَا عَدِّ

يطلُّ المكان من العناصر المحفزة لأحاسيس الشاعر واقعا ((يرتقي بهذا العالم الطبيعي إلى مصاف الجمال في الصورة، ويجعله كياناً حسياً يزخر بالحركة، واللون، والتكرار، وهو معين ترّ للرمز والتشخيص))<sup>(2)</sup>، وغيب الشاعر جمال الروض، وجعله انعكاساً لغياب الورد في خد المرأة وضياعه؛ وبهذا تمكن من رسم صورة شعرية تركز على الحاسة البصرية، والحاسة الشمية، ويشتمل الروض على أبهى الزهور، ويمتلك نسباً هادئاً، وهواءً صافياً، وكأنه صهر المكان دالاً شعرياً بالمرأة في سياق شعري متصل؛ بذكر بني تنيث من المكان الطبيعي: (نرجس، ولؤلؤ، وماء، وغصن) بمخيلة متقدمة تمكنت من مونتاج صورة المكان الطبيعي بإحاطها بجمال المرأة، وقد تعلق به وارتبطت، ويشكل الروض المكرر دالاً شعرياً برؤية مخصصة، وانفعالٍ يستعرض تفاصيله (الورد، النرجس، غصن)، ثم الخواطر (أرسل الدمع، عانق، الشوق، قبيح وداع)؛ فيتكامل فيها الفضاء الشعري رؤية وحدثاً.

(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 380.  
(2) حيدر لازم مطلق . الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبّي: ، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2010م: 156.



وضمن المكان الطبيعي أحاسيسه، وجعله متعلقاً بالمرأة بالنداء، والسرود محققاً فضاءً شعرياً تحكمه رؤيته وانفعالاته؛ إذ يقول<sup>(1)</sup>

وَيَا سَاكِنِي بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ مِنْ مَنِي  
دُكْرَتِكَ فَوْقَ الْبَحْرِ، وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا  
وَأُومَضَ خَفَاقَ الدَّوَابِّ بَارِقُ  
وَأَيْسُرُ حَظٍّ مِنْ رِضَاكَ كَثِيرُ  
فَمَدَّتْهُ مِنْ فَيْضِ الدَّمُوعِ بُحُورُ  
فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنَّهُ وَرَفِيرُ

يعتمد أسلوب النداء لنداء ساكني (الأجرع الفرد)، ونادى المكان؛ ((فالألفة وعدمها لا يخضعان لتقييم محدد، بل تكونان تبعاً للتعامل النفسي، والعاطفي القائم بين المكان وقاطنيه))<sup>(2)</sup>، ويعادل استدعاء أهل المكان استدعاءه للمكان فكلاهما متعلق بالآخر؛ ففي اللحظة ((تكون الأرض والجبال والبحر، صوراً منتخبة من مكونات الجمال الحسي في الطبيعة، إلا أن الشاعر يأتي بها رمزاً. أو وسيلة لغرض رسم حال ما، أو تقرير قيمة معنية))<sup>(3)</sup>؛ إذ إن نداءه لساكني الأجرع نداءً لاستحضار المكان، واستدعائه ليكون ماثلاً أمامه، ثم يصور المكان الطبيعي المتمثل بالبحر؛ ((فالتبيعة خير من يصوغ موقف الشاعر، وتصور شعوره حين تجسّد معانيه وتشخيص أفكاره، ويلقي عليها ظللاً وألواناً حتى تُبعث فيها الحيويّة، والإثارة عبر خيالات وإبحاءات تهدي بالعاطفة للنفوذ في مشاعر المتلقي))<sup>(4)</sup>، وجاء ذكره للمرأة مكنياً عن البعد بالبحر بعد أن وجد نفسه في فضاء جعل الأحاسيس تنقد في مخيلته من الوحدة، والضيق في ذلك البحر؛ ((فالأماكن المنفتحة قد لا تسعدنا والأماكن الضيقة ليست دائماً سيئة))<sup>(5)</sup>، وتمكن من تشكيل صورتين شعريتين ترتكزان على مكانين طبيعيين يختلف كل منهما عن الآخر؛ فالأول مكان طبيعي بري والآخر مكان طبيعي مائي بحري.

ويعبر المكان الطبيعي بوصفه دالاً شعرياً عن رغبة الذات في كسر حاجز الخوف، والضيق، ويكون المثل المكاني مخيفاً ومرعباً للشاعر، وذلك بتوظيفه ظرف المكان: (فوق البحر) الذي فيه رغبته بالتسامي عن المكان، والهروب منه، وجاء النص نفسياً يحاول فيه الشاعر بناء رؤية تجمع مكانين جاء الثاني البحر داعمًا للأول في إطار إبداع صفة المجاز، وفاعله الخيال بالنداء والتعيين (الأجرع الفرد)، ثم البوح (وأيسر حظ) فالتمثيل للحالة الشعورية (ذكرتك فوق البحر) ثم المعاناة (فطارث بقلبي أنه ورفير).

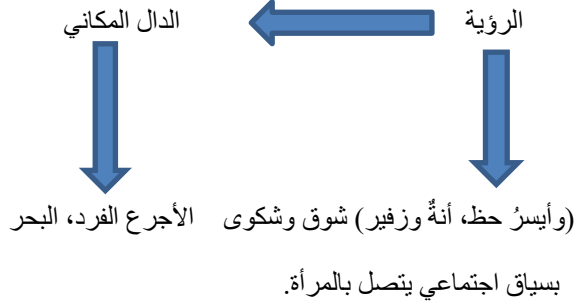
(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 426.

(2) حسين علي الدخيلي . الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي. ، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010م: 33.

(3) الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي: 157.

(4) عبداللطيف يوسف عيسى . الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، دراسة نقدية: ، دار عياد للنشر، عمان، ط1، 2011م: 162.

(5) فتحية كحلوش . بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري: ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م: 28.



ويصور الشاعر الطبيعة المكانية الروضية؛ بوصفها مكاناً مهيماً، وفضاءً من فضاءات التجربة وواقعها؛ إذ يقول في وصف القرنفل (1) :

رَعَى اللهُ زَهْرًا يَنْتَمِي لِقَرْنُفْلِ	حَكَى عَرَفَ مَنْ أَهْوَى وَإِشْرَاقَ خَدِهِ
وَمَنْبُتُهُ فِي شَاهِقٍ مُمْتَنِعٍ	كَمَا امْتَنَعَ الْمَحْبُوبُ فِي تَيْهِ صَدِهِ
أَمِيلُ إِذَا الْأَعْصَانُ مَالَتْ بِرَوْضَةٍ	أَعَانِقُ مِنْهَا أَلْقُصَبَ شَوْقًا لِقَدِهِ
وَأَهْفُو لِحَفَاقِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى	وَأَهْوَى أَرِيحَ الطَّيِّبِ مِنْ عَرَفِ نَدِهِ

بدأ الشاعر النص بتصوير ثابتة مكانية (زهرة القرنفل) تعييناً ووصفاً، وعدّها ميداناً رحباً لبث أحاسيسه، ويضمّن النصّ الصور الحسية البصرية واللمسية؛ رغبة في ديمومة الحياة في المكان الطبيعي؛ ((فالمكان يتسم بالسعة والامتداد والارتفاع والانسياط والشدّة)) (2)، ويخلع على المكان صفة الامتداد، والارتفاع بحيوية الزهرة التي تمثل رمزاً للنماء، ويبدأ النصّ بالدعاء بقوله: (رعى الله زهراً)، وهذا يمثل الأحاسيس تجاه موجودات طبيعية شديدة الالتصاق بذات الشاعر، وينتقل إلى مشهد مكاني روضي متحقق شعرياً بزينة (زهرة القرنفل) بألوانها المتعددة، وشذاها الزكي تتخذها الأرض زينة، وتكتسي بها، ويعتمد في عجز (البيت الأول) الحواس بتداخل شعري بين المكان والمرأة بقوله: (حكى عرف من أهوى وإشراق خده)، ويستدعي الفعل (حكى) الإلحاق بالتشبيه، والعرف يفعل حاسة الشم، والإشراق يستجلب حاسة البصر؛ فتمكن من جمع الحواس، وتسليط الضوء على المكان الطبيعي بوصفه دالاً شعرياً يعزز التجربة ونظراتها للواقع.

ورسم الصورة واعتنى بدقتها؛ لترتكز على المضامين الطبيعية الحقيقية والمتخيلة، وجمع بين منبت القرنفل في الأماكن المرتفعة، مبيهاً ندرته وصعوبة الحصول عليه، وتمنعه ليكون مشابهاً لتمنع المرأة وصددها (امتنع المحبوب)، وجعل من (زهر القرنفل) معادلاً موضوعياً للمرأة؛ فكلاهما يحتاج مشقةً وصبراً للنوال بصورتين (مكانية طبيعية، وحسية متخيلة) تركزان على خواطر صادقة في نيل ما هو قريب من النفس؛ ((فالتبيعة ملهمة الفنان، ومصدر الوحي، ومنبع إلهام وتهوي إليها أفئدة الناس مهما اختلفت ثقافتهم وبيئتهم، فالإنسان يفطرته مغرم بالطبيعة، مقدس جمالها، يشاركها أشجانها وخواطره ويبادلها أفكاره ويشركها مسراته وعزاه)) (3)، ويمثل المكان الطبيعي البؤرة التي تنبثق منها الذكريات، والألام وفي الوقت ذاته هو الفضاء الحامل للتجربة بأزمة متجددة في الوعي.

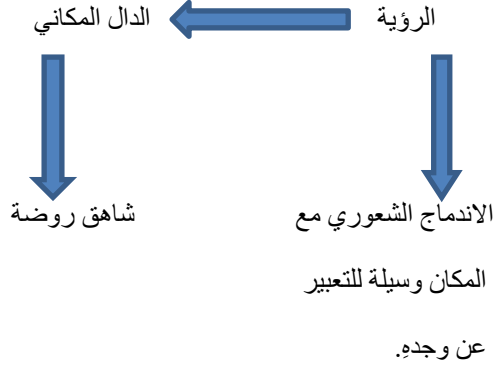
ويتواصل في الكشف عن أحاسيسه تجاه المكان الطبيعي؛ إذ جعله سبباً للروح عمّا يجيش في صدره من شوق للمرأة؛ فهو يميل إذا ما مالت الأغصان في تلك الروضة؛ ويحاول أن يعانق كلَّ غصن رطب يتسم بالنعومة والرقّة؛ بصورة مكانية متدفقة بالرجاء، وبهذا يضمّن النصّ الصورة اللمسية التي ارتكزت على (اللين والنعومة) اللذين تتميز بهما الأغصان من مؤنثات المكان الطبيعي، ثم يتحول إلى الصورة الشمية بذكره (النسيم) بالاستعارة، ويجعل للنسيم خفقاناً كخفقان القلوب؛ يهفو لخفقان النسيم (وأهفو لخفاق النسيم)، ثم يأتي بصورة شميّة يستنشق أريجاً وطيباً من (عرف) الندى فوق أغصان الزهرة بصورة جمالية مكانية متوقدة بالشعور، ومعبرة عن إحساس يستقر في الوعي،

(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 384.

(2) الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي: 156.

(3) وصف الطبيعة في الشعر العباسي لوحات كشاحم نموذجاً: 85.

والمخيلة؛ فكان المكان الطبيعي بوصفه دالاً شعرياً منفذاً للدخول إلى مكنونات النفس، ومنطلقاً للتعبير عن مواقفها إزاء المرأة بفضاء شعري تعددت فيه الصور الواقعية والمخيلة.



### ثالثاً: المكان الطبيعي والحنين

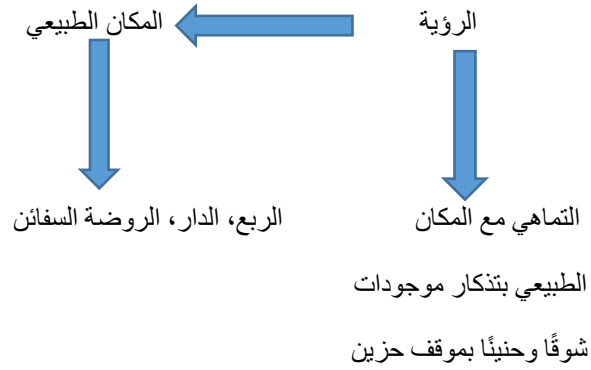
لا تخرج الأمكنة الطبيعية عن كونها مشاهد فاعلة في نفس الشاعر تحرك وجدانه وتثير شعور الحنين عنده وفي الوقت نفسه تكون عالية أو منخفضة، تتصف بالألفة محملة بالذكريات، مرتبطة بالموقف، والرؤية هدف النص الشعري؛ ((فكان الحنين دافعاً أساساً، ومدعاةً لبناء مشاهد تقوم على استجماع لوازم مكانية دالة تمكن من تجسيد قسامات وجدانية، ونوازع فكرية؛ بالاعتماد على قيم حسية متعددة، ومدارك يشرع الشاعر/السارد في تداولها؛ لتشكيل المشهد الوصفي، وصياغته، وتوجيه دلالاته المدعمة بقرائن لغوية، وسياقات حدئية واقعية تشترك في رسم لوحات مكانية يغلفها شعور ذاتي؛ ليتدفق في أجزائها؛ فيرصد تجربة راهنة، ويرسل موقفاً فكرياً موشى بدلالات اجتماعية))<sup>(1)</sup>، وهنا تغلب الذات منطقتها، وتفصح عن خواطرها، وتمثل الطبيعة فضاءً مكانياً وزمانياً؛ إذ تختزل المكان، والزمان الذي عاش فيه الشاعر وتأمل الطبيعة تأمل حياة مضت، وكلما رآها فإنه يرى مكاناً كانت له فيه ذكرى وموقف، ويرى زماناً كان يشعر فيه بطيب الحياة وجمالها وسكينتها؛ إذ يقول<sup>(2)</sup> :

يَبْنِي أَرْمَةً هَيْمَهَا شَوْقٌ إِلَى	ظِلِّ الْأَرَاكِ وَأَزْرَقِ سَلْسَلِ
ذَكَرَتْ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ كَعَهْدِهَا	وَالرَّبْعِ مِنْهَا أَخْضَرَ السَّرْبَالِ
وَالدَّارَ حَالِيَةَ المَعَاظِفِ والرُّبَا	وَمَرَادَهَا بِالرُّوْضَةِ المَخْضَالِ
أَيَّانَ مَا لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى	وَتَرَاهَنْتَ فِي الحَلِّ وَالتَّرْحَالِ
وَجَرَتْ بِسِدَّتِهَا الحُدَاةَ كَأَنَّهَا	قَطَعُ السَّقَانِ خُضْنَ بَحْرِ لِيَالِ
دَعْنِي أَطَارِحَهَا الحَنِينِ فَبُنْيِ	لَا أَتُنْنِي لِمَقَالَةِ العُدَالِ

(1) المشاهد الوصفية في شعر ابن زبلاق الموصلية (ت660هـ)، (بحث منشور): 81 .  
(2) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 458.

يظلُّ المكان الطبيعي بوصفه دالًّا شعريًّا حاضرًا بقوله: (الأراك، والحي، والروضة)، ويذكر الزمان بقوله: (ذكر الزمان الخالي)، ولم يأت الشوق إلى الزمان الخالي بجديد فلن يستطيع الشوق أن يعيد الماضي ونظاراته، وحينه سيحيي تلك الأمكنة، وذلك الزمان يسبب له حزنًا عميقًا جعل عنصر القلق والتأزم النفسي يسيطران عليه.

ثم يرسم الشاعر بعد هذه الوقفة التأملية صورةً كليّةً للحياة، ووصف الأطلال المكان الطبيعي الذي يمثل الراحة والسكينة، والاستمرار: (ظل الأراك، وأزرق، والسلسال، والربع، أخضر السربال)؛ فاللون الأزرق والأخضر يمثلان الحياة والقوة، ويصف الأمكنة من رياض تمثل له رمزا من رموز تبعث الإحساس العميق بالوجود. ثم يسدل الشاعر الستار عن المكان؛ لأنه أصبح في طور الماضي والديار التي كانت تتسم بالخضرة والجمال، وتكمن المفارقة في مزجه للصور المتمثلة بالطبيعة؛ إذ تكون الصورة ((غير واقعية وإن كانت منتزعة من الواقع؛ لأن الصور الفنية تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع))<sup>(1)</sup>، ووجد الشاعر الماضي والمكان الطبيعي ملاذين يحتمي بهما من واقعه الحاضر.



ويوظف ((الشاعر ابن زمرك الأندلسي)) المكان الطبيعي الذي يألفه، ويعبر عن رؤيته بمحطات جمالية وأبعاد نفسية؛ إذ يقول

(2):

**إنَّ الحِجَازَ مَعَانِيهِ بِأَنْدَلِيسِ**  
**فَتَلْكَ نَجْدٌ سَقَاهَا كُلُّ مُنْسَجِمٍ**  
**وِبَارِقٍ وَعَدْيَبٍ كُلُّ مُبْتَسِمٍ**  
**وَإِنْ أَرَدْتَ تَرَى وَادَ العَقِيقِ فَرْدٌ**

**أَلْفَاظُهَا طَابَقَتْ مِنْهَا مَعَانِيهَا**  
**مَنْ العَمَامِ يُحْيِيهَا فَيُحْيِيهَا**  
**مَنْ التُّغُورِ يُحْلِيهَا مُجَلِّبِهَا**  
**دُمُوعَ عَشَائِهَا حُمْرًا جَوَارِيهَا**

يدخل الشاعر بين مكانين هما المكان الذي يعيش فيه (الأندلس)، والمكان البعيد (أرض الحجاز)، وهذا نابع من ((وظيفة الشعر الكبرى هي أن يجعلنا نستعيد مواقف أحلامنا فالببيت الذي ولدنا فيه هو أكثر من مجرد تجسيد للمأوى، هو تجسيد للأحلام كذلك))<sup>(3)</sup>، ويشرع في تصوير الأماكن الحجازية وهو في أرض الأندلس، وكأنها محاكاة للمكان الذي يعيش فيه، وكل ما في الحجاز من ألق مكاني موجود في الأندلس إلحاقًا، و((المكان الذي غلب عليه طابع الفرح والألفة يبقى راسخًا في ذاكرتنا لرغبتنا ببقائه وعدم زواله))<sup>(4)</sup>؛ لتوافر أسباب الحياة ومنها المطر، ونجده يوظف الدعاء بالسقيا على التقليد التراثي تجاه المكان المحبب إلى النفس بقوله: (سقاها كل منسجم)؛ إذ ((يكون معنى (الربع) مكانياً وزمانياً رمزية دالة على الحياة والخصب، وقد يكون أكثر ارتباطاً بالزمن؛ لأنه يعني المكان الذي بقيت به القبيلة في فصل الربيع))<sup>(5)</sup>، ويوظف الجناس بقوله: (يُحْيِيهَا، فَيُحْيِيهَا)، واللفظتان متساويتان إلا أن المعنى مختلف، الأولى للتحيّة والمصادقة، والثانية لببّ الحياة والرواء في المكان، ولعله أراد القول إن هذا الغمام سيحيي أرض الحجاز، وفي الوقت ذاته سيبيقي ذكرها حاضرًا واسمها حيًا لا يموت، وكأنه أدرك أن المكان ((يرفض أية تصورات لا تربطه بالحركة))<sup>(6)</sup>؛ فالإحياء الأول إحياء الأرض بما فيها من أسباب الحياة، وأما الثاني؛

(1) : عز الدين إسماعيل. التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، مصر، ط4، (د.ت): 57، 58.

(2) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 500.

(3) غاستون باشلار. جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط2، 1984م: 44.

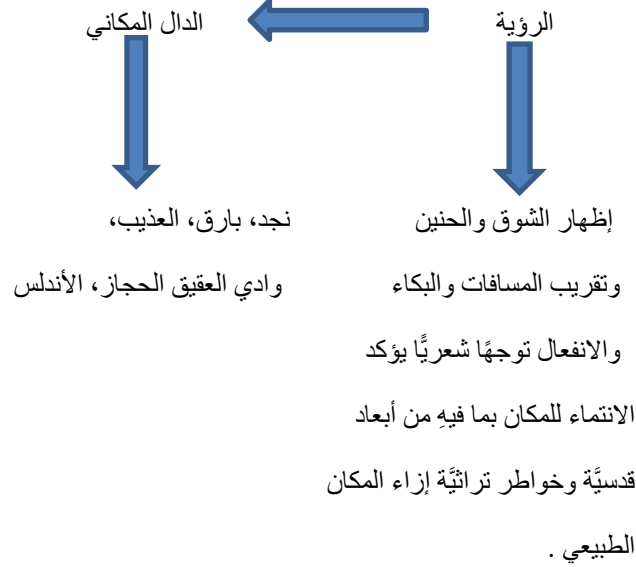
(4) جماليات المكان: 40.

(5) فنن نديم دحام آل إبليش. الزمن في شعر تميم بن مقبل، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، بإشراف: د.علي حسين التمر، جامعة الموصل، كلية التربية، 1433 هـ - 2012م: 103.

(6) ياسين نصير. إشكالية المكان في النص الأدبي - دراسات نقدية، دار الشؤون الثقافية العامة، جامعة كاليفورنيا، (د.ط)، 1986م: 19.

فهو استمرار الحياة ومكانها التراثي بحياة ماديّة، وأخرى معنويّة، الأولى: تستمر باستمرار نزول المطر، والثانية: خلودها في الوعي ببقاء اسمها.

ويذكر ((الشاعر ابن زمرك الأندلسي)) في البيت الأخير تعلقه بالمكان (وادي العقيق) الذي يصور حاله وهو يتذكره بالدموع والحسرات؛ حزناً من البعد عنه كما نجد توظيفه للون الأحمر الذي يدل على شدة البكاء تحسراً على المكان الذي استقر في مخيلته، ((ويرمز التصريح باسم المكان في الاختيار الشعري إلى معطيات لها دور في تمكين الرؤية، ويظهر على الشاعر الشوق والحنين بعد مفارقتها لها وهو يتأوه كلما تذكر معاهدها))<sup>(1)</sup> بالبكاء حسرة على المكان والرغبة في إشباع اللحظة الأنثية بذكرياته.



ويعتمد المكان الطبيعي مسرحاً للروح، وإطلاق الخواطر، وتوكيدها في إحدى موشحاته بهجة وإشراقاً؛ إذ يقول<sup>(2)</sup>:

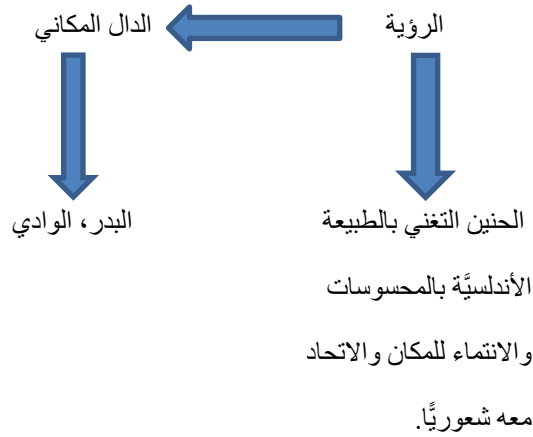
وَصَافِحَ الصُّبْحِ كَفَتْ خَضِيبُ	وَاسْتَقْبَلَ الْبَدْرُ لِيَالِي التَّمَامِ
بِغَلِّ ذِي لَحْنٍ يَدِيعِ غَرِيْبُ	وَرَجَعَ الْأَطْيَارُ سَجْعَ الْحَمَامِ
وَنَفْحَةَ النَّدْبِ بِهِ تَعْبِقُ	نَوَاسِمِ الْوَادِي بِمِسْكِ تَفُوحِ
وَجَوْهَ مِنْ نُورِهِمْ يَشْرِقُ	وَبَهْجَةَ السُّكَّانِ مِنْهُ تَلُوحِ
كَأَنَّهُ عَنِّ عَنَبٍ يَفْتَقُ	وَعَرْفَهُ بِالطَّيْبِ مِنْهُمْ يَفُوحِ

يبقى المكان الطبيعي محبباً للذات الشاعرة؛ لما فيه من صدق وصفاء، وبعيداً عمّا هو مصطنع، ويمثل مكان الراحة، وحديث النفس، وأورد الشاعر (البدري، الصباح، الأطيوار، الحمام)، التي تدل على المكان الطبيعي الذي تألفه النفس، وتأنس به (بدر منير)، (صباح) يدل على النشاط والحيويّة، وتملأ الطيور المكان الطبيعي، والحمام الذي يجذب المسامع بصوته، وسجعه، ونلاحظ أنسنة البدور والصباح بقوله: (واستقبل البدر، وصافح الصباح)؛ للاستقبال على المودة، وتدل المصافحة على الأمان والسلام، وهذه الصفة هي التي تعطي للأحداث معناها الحقيقي ضمن فضاء شعري طبيعي.

(1) بسام خالد محمد . الاختيارات الشعرية في كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض للمعري التلمساني(ت1041هـ) دراسة تحليلية: ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، بإشراف: د. مقداد خليل قاسم الخاتوني، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2023م : 116.

(2) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 553.

ويرسم الشاعر صورة شعرية للنسيم الذي يهب من المكان الطبيعي (الوادي)؛ ليتمخض عنه الإحساس الذاتي بالمكان؛ وصوّر المكان الطبيعي (الوادي) بعبق النسائم التي تهب منه، والرياحين التي تفوح فيه، بجعله موطن راحة، وبهجة لساكنيه، وبييت المكان الطبيعي ذا سمة جمالية بتوظيفه للصورة الشمية والصورة البصرية، وكانت الأولى مهيمنة: (مسك، تفوح، نفحة، تعبق، عرف، بفوح، عنبر، يفتق)، وقد توسطت الثانية تشكيلين شبيين: ( بهجة، تلوح، جوه، نور، تشرق) إمعاناً وتركيزاً في المنظور المكاني، وتشكيله بدءاً بحدث الاستقبال البصري (البدن)، ثم حدث المراجعة (وراجع الأطيوار) السمعي؛ ((إذ إنَّ تَجَاوَرَ الصُّورَتَيْنِ نَظْمًا، فَضلاً عن اتِّحادهما فَضَاءً وسياقًا؛ يَرَجُّحُ الصورةَ السَّمعيَّةَ، ويؤكدُ محوريتها في النَّصِّ، وإجمالها لما يَخْتلجُ في النَّفسِ؛ فلا يَعدو إيرادُ الصورةِ البصريَّةِ دورَ تعزيزِ الدلالةِ الزمانيَّةِ أولاً، وتوكيدِ الحضورِ المكانيِّ ثانيًا، وهما قيّدان في المشهد مُتآخِان للتواصل))<sup>(1)</sup>، وصولاً إلى حدث العبق (تفوح) الشمي:



#### الخاتمة

- أدرك ((الشاعر ابن زمرك الأندلسي)) محورية المكان الطبيعي في البناء الشعري في موضوعات المديح والمرأة والحنين وأولاه عناية كبيرة أظهرتها القراءة، وأبانها التخيل عبر الوقوف عند المكان الطبيعي دالاً، ودوره في إكمال الرؤية الشعرية.

- يأتي المكان الطبيعي واقعيًا وخياليًا، يعجُّ بمواطن الجمال بوصفه دالاً شعريًا؛ إذ اعتمده دالاً شعريًا بقدرته إبداعية متوازنة شعوريًا عبر الوقوف عند دلالات المكان الطبيعي، ودوره في إكمال الرؤية الشعرية وبثها بأطر نغمية وأدوار جمالية.

#### References:

1. -Description of Nature in Abbasid Poetry: Kashajim's Paintings as a Model: Dr. Zainab Abdul Karim Hamza, (published research), Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, University of Babylon, Issue 35, 2017
2. Descriptive Scenes in the Poetry of Ibn Zillaq Al-Mawsili (d. 660 AH): Dr. Muqdad Khalil Qasim (published research), Journal of Rafidain Literature, University of Mosul, College of Arts, Issue 75, 1440 AH/2018 AD.
3. -Lisan Al-Arab: Muhammad ibn Makram Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari (d. 711 AH), Dar Sadir, Beirut, Lebanon, 3rd ed., 1414 AH.
4. -Nature in Pre-Islamic Poetry: Dr. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, Al-Irshad Printing and Publishing House, Baghdad, Iraq, (n.d.), (n.d.).
5. -Place in the Poetry of Abu Nuwas: A Theoretical Introduction: Jamila Saddam (published research), Journal of the College of Arts, University of Baghdad, Iraq, Issue 90, 2009 AD.
6. Place in the Poetry of Ibn Nabatah Al-Misri (d. 768 AH): Abeer Abdul-Karim Al-Obaidi (unpublished master's thesis), supervised by: Prof. Muqdad Khalil Qasim Al-Khatuni, College of Arts, University of Mosul, 2023 AD.

(1) مقداد خليل قاسم الخاتوني .جماليات الصورة السمعية في شعر الشباب الطريف (ت688هـ): ، (بحث منشور) مجلة جامعة كركوك العلوم الإنسانية، جامعة كركوك، مج16، ع1، لسنة 2021م: 32.

7. Place in the Poetry of Ibn Zaydun: Sahera Aliwi Hussein Al-Amiri (unpublished master's thesis), supervised by: Prof. Hana Jawad Abdul-Sada, University of Babylon, College of Education, 2008 AD.
8. Poetic Selections in the Book Azhar al-Riyadh fi Akhbar Ayyad by al-Maqqari al-Tilimsani (d. 1041 AH), an Analytical Study: Bassam Khaled Muhammad, (unpublished doctoral dissertation), Supervised by: Dr. Muqdad Khalil Qasim al-Khatuni, University of Mosul, College of Arts, 2023.
9. -The Aesthetics of Space, Gaston Bachelard, translated by Ghaleb Halasah, University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 1984.
10. -The Aesthetics of the Audio Image in the Poetry of al-Shab al-Dharif (d. 688 AH): Dr. Muqdad Khalil Qasim al-Khatuni, (published research), Kirkuk University Journal of Humanities, University of Kirkuk, Vol. 16, No. 1, 2021.
11. -The Artistic Image in Ibn Zaydun's Poetry, a Critical Study: Dr. Abdul Latif Yousef Issa, Ghaidaa Publishing and Distribution House, Amman, 1st ed., 2011.
12. -The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary: Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Husayni, nicknamed Murtada al-Zabidi, edited by a group of editors, Dar al-Hidaya, Kuwait, (n.d.), (n.d.).
13. The Culture of the Literary Critic: Dr. Muhammad al-Nuwaihi, Al-Khanji Library, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 1969.
14. -The Diwan of Ibn Zamrak al-Andalusi, edited by Muhammad Tawfiq al-Nifer, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1997.
15. The Poetic Space of the Thief Poets in the Pre-Islamic and Islamic Eras: Dr. Hussein Ali Al-Dakhili, Al-Hamed Publishing and Distribution House, Amman, Jordan, 1st ed., 2010.
16. The Problem of Place in Literary Texts - Critical Studies: Yassin Nasir, General Directorate of Cultural Affairs, University of California, (n.d.), 1986.
17. The Psychological Interpretation of Literature: Izz al-Din Ismail, Gharib Library, Egypt, 4th ed., (n.d).
18. -The Rhetoric of Place: A Reading of the Spatiality of Poetic Texts: Fatiha Kahlush, Arab Diffusion Foundation, Beirut, 1st ed., 2008.
19. -Time and Place in the Poetry of Abu al-Tayyib al-Mutanabbi, by Haidar Lazim Mutlaq, Dar al-Safa, Amman, Jordan, 1st ed., 2010..
20. -Time in the Poetry of Tamim ibn Muqbil, by Nadim Daham al-Iblish (unpublished doctoral dissertation), supervised by Dr. Ali Hussein al-Tamr, University of Mosul, College of Education, 1433 AH - 2012 AD.